الرسول ﷺ وأنبياء أهل الكتاب

رباط الأخوّة المقدّس

إعداد: ممدوح مرتضى

نزلت على الرسول ﷺ سور وآيات عديدة فيها دروس وعبر عن الأمم الماضية، وتناولت تاريخ الأنبياء والنقاط المحورية في أدوارهم المختلفة، وفي ما يلي نعرض إلى بعض أهم تلك التعاليم الإلهية، وما صدر عن الرسول الأكرم بهذا الصدد:

الرسالة الإسلامية شاملة لأبعاد التاريخ الإنساني المختلفة، واحتل الكلام الإلهي عن الأنبياء موقعاً متقدماً حيث تم إيراد أسماء عدد من الأنبياء والمرسلين، كما في قوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ٨٣-٨٨.

إن هذه الآيات وغيرها تمنح الفرد المسلم ثقافة في الإطلاع على الديانات الأخرى بحيث يتعرف على بني إسرائيل من خلال القرآن.

تعاليم عن الأنبياء

لقد أعطى القرآن صورة مقدسة عن أنبياء بني إسرائيل، وبما أنّ النبيّ محمد ﷺ يعرف الخطاب القرآني بكامل أبعاده، فقد تعرض لذكر الأنبياء وما جرى عليهم، وما كانوا فيه بحيث ربّى المسلمين على ثقافة توقير الأنبياء ودياناتهم. فكان النبي يقول: «أخي موسى» و «أخي عيسى» على اعتبار أنهم ينتسبون إلى ديانة سماوية واحدة يمثل النبي الأعظم آخر حلقاتها. فعندما يأتي النبي ﷺ على ذكر موسى عليه السلام يقول: «رحم الله أخي موسى آجر نفسه بطعام بطنه وعفة فرجه»، ويذكره بكامل الاحترام، وينشر أخلاقه بين المسلمين، ويشير إلى رباط الأخوة المقدس بين الأنبياء.

وكان النبي الكريم ﷺ يمجد بالأنبياء ويعرض على الناس تجاربهم وأعمالهم في التقرب إلى الله تعالى، ويقول: «أفضل الصوم صوم أخي داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفرّ إذا لاقى». وعلّم النبي ﷺ أصحابه الوصايا الإلهية التي تلقاها عيسى عليه السلام من الله تعالى: «يا أبا ذر إن الله تعالى أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام: يا عيسى، لا تحب الدنيا فإني لست أحبها، وأحب الآخرة فإنها دار المعاد...»

وتحسن الإشارة إلى أن النبي ﷺ في أثناء معراجه إلى السماء كان قد التقى بأنبياء الله وتحدث معهم ورأى منازلهم، ومن بينهم أنبياء بني إسرائيل، وبهذا الصدد روى البخاري: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»

والقرآن الكريم أتى على ذكر المعجزات والدلائل التي لأنبياء بني إسرائيل فقال عزّ وجل: ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ... ﴾ الجاثية: ١٧. ومن الممكن أن يكون في هذه الآية إشارة إلى المعجزات الواضحة التي أعطاها سبحانه موسى بن عمران وسائر أنبياء بني إسرائيل.

إنّ وجود قصص أنبياء إسرائيل في القرآن الكريم يمثل أصدق تمثيل للغة الألفة التي يقدّمها القرآن ويبينها النبي ﷺ عن الأنبياء عليهم السلام باعتبارهم سفراء الوحي الإلهي.

وعليه فتلك التعاليم التي أنزلت على النبي الأميّ ﷺ هي في واقع الأمر لاستلهامهم العبرة، واستخلاص التجربة التي خاضها الأنبياء من أجل صناعة الإنسان القدوة، وتنطوي تلك التعاليم على دعوة أهل الكتاب لأن يسمعوا وينصتوا للآيات الكريمة، ويغترفوا من منبعها الصافي الثري.

رحمانية التواصل

ستة مبادئ مقترحة من أجل الحوار

جهاد زيدان

إذا كانت الغاية من أي حوار هي إنجاز اتفاق حول مشتركات، فقد يكون الحوار نفسه هو مادة الخلاف بين المتحاورين. وغالباً ما تظهر هذه المفارقة عندما يكون التحاور محكوماً على الجملة بالمصالح البحتة. لكنْ، ثمة منظور آخر للقضية يمكن أن يُخرجها من دائرة الإشكال، هو المنظور الذي يرى على الحوار بوصفه عملية أخلاقية ومعرفية ذات وظيفة مركبة: أن تتعرف الذات على هويتها أولاً، ثم تخطو لتتعرّف إلى صورة الغير الذي يقوم بالمهمة نفسها، ثم لينشأ جّراء ذلك ما يشبه التناظر المتكافئ بين ضفتين.

ضمن هذا المحل من الفهم– لا يبدو الغير أي (الآخر) إلاّ ما تنطوي عليه الذات من قيم لتبلغ تمامها. فالحوار في هذه المنطقة المعرفية، إنما هو صيرورة الأنا إلى الغير، حتى لَتنبسطا معاً، وبواسطة التحاور، على الرضى والقبول.

لذا، فإن استقامة الحوار على صراط التوازن، والإعتراف، والإحترام، وكذلك حرمة تجاوز حدود الغير، تفترض مراعاة جملة من الشروط والقواعد والآليات يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: يُفترض أن يكون اللقاء مباشراً بين المتحاورين، وعلى هذا، فإن العلاقة الأفقية بين ضفتي التحاور، هي التي ينبغي توفيرها أولاً لكي يجري التلاقي والتواصل على نحو سويّ. إن الرغبة بالحوار، هي جدلية معرفية مركبة تكتمل باكتشاف مستمر للذات من خلال العلاقة مع الغير، وبالتوازي مع استكشاف مستمر وغير نهائي له.

ثانياً: الموضوعات المشتركة التي يتم التداول بشأنها تستلزم لغة مشتركة وواضحة لسائر أطراف الحوار، وأن تكون اللغة التي يستخدمها كل طرف، مفهومة وواضحة بالنسبة إلى محاوره. بمعنى أوضح، أن تنأى تلك اللغة من الغموض والكمون والريبة، ما يفسد على التحاور بلوغ غايته الفضلى.

ثالثاً: النظر إلى الغير بما هو غير، له وجوده وشخصيته، وله ميّزاته السالبة والموجبة. وبمعنى محدَّد وصريح: أن يكون لدي القناعة الكاملة، بأن الغير الذي يشاطرني تبادل الكلمات هو كيان مستقل بذاته، منفصل عني ومتصل بي في الآن عينه.

رابعاً: إجتناب إسقاط ما تمتلئ به «ذواتنا» على «ذوات» الغير من مسلّمات. فلو فعلنا ذلك، لاستحال التحاور مجرد صدىً للمتكلم الأول، في حين يصبح من يناظرنا مجرد سامع للأصداء. فالحوار هو حادث معنوي بين حالتين إنسانيتين، يسعيان إلى أن تكوِّنا معاً صورة واحدة. ولسوف ننجز المزيد من الفهم المتبادل كلما قطعنا مسافة إضافية على الطريق الطويل، المكتظ برحمانية التساؤل. فالحقيقة التي نتغيَّا أمرها، سوف تأتينا حين نقترب منها على مبدأ النظر إلى الغير بعين القبول، لا بعين الإختصام والإقصاء والعدوان.

خامساً: الإحترام.. ونقطة البداية هنا، تكمن في أن أقبل من أراه أمامي انطلاقاً من حيث هو، لا من حيث أريد له أن يكون. إنني أقبله انطلاقاً من كينونته، كما هو موجود وحاضر أمامي. أن أحترم الغير، هو أن أراه حيث هو، خارجاً عن أي اتهام. وبالتالي أن أنظر إليه خارجاً عن أي نيّة منّي بتغييره.

سادساً: الانسان كفرد، لا نستطيع القول بأننا نتحاور كطرفين، إن نحن نظرنا إلى الغير بما هو شخص فردي انطلاقاً من تعميم، يُخرجه من فرادته. فإن هذا الغير هو كائن له هويته الشخصية الكاملة، من قبل أن يكون مجرد كائن في جماعة.

على أرض رؤية الغير كنظير وجودي لذاتنا. بل كشبيه لنا في الخَلق، سوف يتأسس معنى جديد للحوار يقوم في آن، على الواجبية الأخلاقية مثلما يقوم على ضرورة الإجتماع الذي يحكم عالمنا الآن.

تلك تأملات ذات جدوى، وسط ضوضاء الكلام على ديمقراطية التحاور بين الأفراد والجماعات والدول.

كاتب وباحث